

ثنائية الليل والنهار في القرآن الكريم

د. أحمد خضير عمير

الجامعة العراقية/كلية الآداب

ملخص البحث

- بعد هذه الجولة العلمية في ربوع القرآن الكريم لا بد لي من خاتمة اذكر فيها النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة والتي أخصها بما يأتي :
١. الثنائيات مشتقة في اللغة من كلمة (اثنين) ، وهي كل شيء انطوى على اثنين ، أو تكون من اثنين .
 ٢. وفي الاصطلاح فالثنائيات هي الألفاظ التي يرتبط بعضها مع بعض بعلائق أو وشائج تجمع بينهما معنوية كانت أم مادية . والتي غالباً ما إذا ذكر أحدهما ذكر الآخر .
 ٣. ارتبط ذكر الليل والنهار في القرآن الكريم في (٤٣) موضع ، منها (٢١) موضع بلفظ (الليل والنهار) .
 ٤. إن أحوال تعاقب الليل والنهار تمثلت بالغشيان ، والتقلّيب ، والولوج و الانسلاخ والتكوير .
 ٥. تمثلت سمات ثنائية الليل والنهار بدوام حفظ الله تعالى ، وعدم تدخل الأوقات ، وأنهما ملك لله تعالى ، ونفاذ أمر الله تعالى فيهما
 ٦. إن تعاقب الليل والنهار على نصفي الأرض ضروري للحياة؛ لأن جميع صور الحياة الأرضية من إنسان، وحيوان، ونبات، وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة لا تتحمل مواصلة العمل دون راحة وإلا هلكت، فهي تحتاج إلى الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار
 ٧. من فوائد ليل والنهار : استخلاف الأعمال وتوزيعها ، وارتباطهما بالعبادات .

Abstract

1. Diodes in the language derived from the word (two), and everything involved the two, or be one of the two.
2. In terminology Valtnaúaat is words, some of which is associated with certain diets or bonds combine them moral or material. Which often if Male Male each other.
3. Male linked day and night in the Quran (43) position, including (21) into the wording (day and night).
4. Associated with bilateral day and night with a number of global issues, including the verses, which came within the context of induction to ponder in the ayatollahs, that people see it and they live every moment and when, and for those who think about it And ponder the great signs predict that this is a great creator of the universe.
5. The Reliable succession of day and night represented Balgshean, and flipping, access and alienation and pelleting.
6. Consisted features dual day and night Bdom Remember God, and times do not overlap, and they belongs to God Almighty, and force is God in them.
7. The succession of day and night on half the land is essential for life; because all images earthly life of man, animal, plant, and other lifestyles Statistics do not bear to continue to work without rest or else perished, they need to rest at night to restore the activity during the day.
8. Of the benefits of the night and day: the replacement of business and distribution, and they relate to worship.

المقدمة

الحمد لله حمداً أرجو أن يبلغني رضاه ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خير من اصطفاه ، أمام الصابرين وشفيعنا يوم الدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المخلصين الصادقين ، وعلى من دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين صلاة دائمة لا نفاد لها ولا زوال .

أما بعد :

فإن عناية المسلمين بالقرآن الكريم تتجلى في كثرة ما كتب فيه من بحوث ودراسات مختلفة ومتنوعة ، وسيظل هذا الكتاب الكريم مادة لمؤلفات ودراسات وبحوث مستقبلية إلى أن يرث الله الأرض وهو أحكم الحاكمين .

ومن الميادين التي أراها جديرة بالبحث والدراسة مسألة الثنائيات ولاسيما المتضادة ، لأهميتها في فهم النص ، وأثرها في السياق القرآني ، ولأن الحكمة الإلهية اقتضت ارتباط ذكرهما معاً ، وأن دراسة هذه الثنائيات من شأنه أن يكشف بعض مكامن الإبداع في القرآن الكريم .

فإن لغة القرآن الكريم تعد اللغة المثلى ، والمقياس الأرفع الذي يحتكم إليه في مسائل اللغة والأدب ، فضلاً عن كونه دستور حياة المسلمين لما تضمنه من شرائع وأحكام .

وما زالت لغة القرآن الكريم موضع عناية الدارسين ، ومعقد اهتمامهم ، وذلك لما يجدون فيها من أسرار دقيقة ، لم يوقف على مثلها في النصوص الأدبية ، وإن سمت إلى أعلى مراتب الإبداع .

وقد كان المفسرون الأوائل في مقدمة من استوقفهم هذه الأسرار ، فراحوا يستكشفونها ، ويرفعون عنها الحجب ، ليتذوقها القارئ ، ويزداد يقيناً بإعجاز هذا النص ، وبأنه من لدن عزيز حكيم .

لقد كان القرآن الكريم أهم النصوص التي استقيت منها المقاييس اللغوية والأدبية والشرعية ، وأن جل ما نراه في الأدب الإسلامي إنما انبنت على عبارة القرآن ، واستتبقت منها .

إن الثنائيات تتحدث عن علاقة جدلية بين متضادين وفق بينهما القرآن الكريم ليرسم صورة واضحة معبرة عن الأحداث ، أفصحت عن أهمية الارتباط بينهما من جهة ، وقد أتت متوافقة مع السياق ومع الغرض العام .

ولهذا ارتأيت دراسة إحدى هذه الثنائيات ، وهي الليل والنهار ، في بحث أسميته : (ثنائية الليل والنهار في القرآن الكريم) حاولت فيه بيان أثر ارتباط ذكر الليل والنهار في النص القرآني ، وبالنظر لسعة الموضوع فقد اقتصررت على أهم النقاط المتعلقة به .

وقد قسمت هذا البحث بعد هذه المقدمة الموجزة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الثنائيات .

المبحث الثاني : الآيات الكونية .

المبحث الثالث : منافع الليل والنهار .

وختمت البحث بخاتمة لخصت فيها أهم ما جاء فيه .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب

العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول : تعريف الثنائيات

أولاً - الثنائيات في اللغة :

لم أقف على كلمة (الثنائيات) في معجمات اللغة وقواميسها ، لا في قديمها ولا في حديثها ، ولكن هذا لا يعني عجمتها أو أنها دون معنى إذ الأصل فيها هو اشتقاقها من كلمة (اثنين) .
وأصل الاثنين : الثَّنيُّ من النوق : التي وضعتُ بطنَيْن . وثَّيَّها : ولدها ، وكذلك المرأة . ولا يقال ثَلَّثُ ولا فوقَ ذلك . والثَّني : الأمر يعاد مرتين .

والثَّني بالضم : الاسمُ من الاستثناء ، وكذلك الثَّوي بالفتح . ويقال : جاعوا مثنى مثنى ، أي اثنين اثنين .
ومثنى الأيادي : أن يأخذ القسمَ مرَّةً بعد مرَّةً^(١) . قال النابغة :
أني أتممُّ أيساري وأمنحهم

مثنى الأيادي وأكسو الجفنة الأدما^(٢)
وثَّيْتُ الشيء ثَّيًّا : عطفته . وثَّاهُ ، أي كفَّه . يقال : جاء ثانياً من عنانه . وثَّيَّتهُ أيضاً : صرفته عن حاجته ، وكذلك إذا صرت له ثانياً .
وثَّيَّتهُ ثَّيَّةً ، أي : جعلته اثنين^(٣) .

(١) ينظر : تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق أحمد عبد العليم البرنوني ، مراجعة علي محمد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة مصر ، بلا تاريخ : مادة (ثني) ٩٧/١٥ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق : الإمام محمد طاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، بلا تاريخ : ٨٤ .

(٣) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م : مادة (ثني) ٧٥٧/٣ .

واثنان من عدد المذكر واثنان للمؤنث، وفي المؤنث لغة أخرى: ثَنَانٌ بحذف الألف. وألفه ألف وصل. ويوم الاثنين لا يُتَّى ولا يجمع، لأنه مثنى.

وقولهم: هذا ثاني اثنين، أي هو أحد الاثنين. وتقول للمؤنث: اثنتان وإن شئت ثنتان؛ لأنّ اللا إنما اجْتُلبت لسكون الشاء، فلما تحركت سقطت. ولو سمّي رجلٌ باثنتين أو باثني عشر لقلت في النسبة إليه ثنوي.

والمثاني من القرآن: ما كان أقلّ من المائتين. وتسمّى فاتحة الكتاب مثنائي لأنها تُتَّى في كل ركعة. ويسمّى جميع القرآن مثنائي أيضاً لاقتران آية الرحمة بآية العذاب^(١).

ويقال تُتَّى فلانٌ: فعلٌ فعلاً ثانياً. والثني: ضمٌ واحدٍ إلى آخر، والثني: الاسم. وفلانٌ لا تُتَّى به الخناصر: أي لا يُعدُّ ثانياً. وتُتَّى تثنية: إذا فعلَ امرأً ثمَّ ضمَّ إليه آخر. وتُتَّى الرَّجُلَيْنِ اثْنَهُمَا، وأنا ثانيهما. واثنان: على تقديرٍ ضمِّ اثْنَةٍ إلى اثْنَةٍ؛ لا تُفردان. وجاء القومُ مثنى مثنى وتُتَّى ثناءً ثناءً^(٢).

- (١) ينظر: تهذيب اللغة: مادة (ثنى) ٩٧/١٥؛ الصحاح: مادة (ثنى) ٧٥٧/٣.
- (٢) ينظر: المحيط في اللغة، لكافي الكفاءة صاحب إسماعيل بن عباد، (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م: مادة (ثنى) ٤٢٠/٢؛ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (٤٥٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ود، حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٩٥٨م: مادة (ثنى) ١٩٥/١٠؛ تاج العروس من جواهر القاموس، محي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي، (ت ١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، بلا تاريخ: مادة (ثنى) ٣٠٤/٣٧.

وَتَنَاءُ تَنْيَّةٍ : جعله اثنين ، والتَّيَّةُ واحدة التَّيَا من السن وهي أيضا طريق العقبة و التَّيُّ الذي يلقي تنيته ويكون ذلك من الظلف والحافر في السنة الثالثة وفي الخف في السنة السادسة والجمع تُنَيَانٌ و تَنَاءٌ^(١) .

قال الخليل : " كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، فالثنائي على حرفين ، نحو : قد ، لم ، هل ، لو ، بل ، ونحوه من الأدوات والزجر "^(٢) . وقد قسم الخليل كتابه (العين) على هذا الأساس .

وما قاله ابن منظور عند حديثه عن تأليف كتاب تهذيب اللغة: " فولف التهذيب في الثنائي المضاعف "^(٣) .

وعلى هذا يمكن القول أن الثنائي هو كل شيء انطوى على اثنين ، أو تكون من اثنين ، وعلى هذا فجمعه الثنائيات جُمع جَمْعُ المؤنث السالم واحدها التُّنَاءُ .

فالثنائية مؤنث ثنائي مشتق من: ثنى يثنى وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين وذلك قولك : تنييت الشيء تنيًا^(٤) .

(١) ينظر : ديوان الأدب في اللغة، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفاريابي، (ت ٣٥٠هـ)،

تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة : إبراهيم أنيس ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣ م : مادة (ثنى) ٥٧/٤ .

(٢) العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، (ت ١٧٥ هـ) ، تحقيق : د ، مهدي المخزومي ، و د ، إبراهيم السامرائي ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٠ — ١٩٨٥ م : مادة (ثنى) ٤٨/١ .

(٣) لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، (ت ٧١١ هـ)، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٦٨ م مادة (فولف) ٢٧٤/٩ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩ م : مادة (ثنى) ٣٩١ / ١ .

ثانياً – الثنائيات في الاصطلاح :

عرف الإنسان منذ نشوئه جسدياً وفكرياً الثنائيات، وقامت حياته على أساسها ، فالثنائيات "فكرة قديمة ترجع إلى بداية الخلق الأولى، عندما خلق الله تعالى آدم – عليه السلام – وخلق له من جنسه حواء تؤنس وحشته، وتبدد وحدته، وادخلهما الله تعالى الجنة ليبدءا رحلة الحياة معاً في ثنائية تكون أول ثنائية للجنس البشري"^(١) .

فالطبيعة البشرية بصورة عامة ثنائية التكوين تتألف من عنصرين هما عنصر المادة وعنصر الروح^(٢).

والثنائي من الأشياء " ما كان ذا شقين "^(٣) .

والثنائية هي "القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون كثنائية الأضداد وتعاقبهما .. أو ثنائية الواحد وغير المتناهي عند الفيثاغوريين، أو ثنائية عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون "^(٤) .

لم أقف على معنى الثنائيات في كتب الاصطلاحات والتعريفات العربية ، فهو مصطلح حادث ، واقتصر استخدامه في اللغة العربية على ما سبق بيانه من تعريف الخليل له .

أما في علم الحديث فقد ورد استخدام هذا المصطلح بلفظه المفرد (الثنائي) ، ففي تكملة المعاجم العربية قيل : " ثنائي : حديث ثنائي الإسناد

(١) ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام، ليلي نعيم عطية، أطروحة

دكتوراه ، جامعة بغداد – كلية الآداب ٢٠٠٥م : ١

(٢) ينظر : مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان، د.

مسارع حسن الراوي، دار الياقوت للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، ط٢ ،

٢٠٠٦م : ١٠٦،

(٣) المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١،

١٩٧١م : ١ / ٣٧٩،

(٤) المصدر نفسه : ١ / ١٧٩ – ٣٨٠،

: حديث نقل عن الرَسُول — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بوساطة سلسلتين من رواة الحديث ، ففي العبدري (ص ٢٨ ق) : قرأت عليه بعض الأحاديث ثنائية الإسناد من حديث مالك ^(١) .

وقد ضمن المتقي الهندي كتابه كنز العمال الفصل الثاني في الثنائيات ^(٢) .

أما القنوجي فتحدث عن الثنائيات في اللغة وأراد بها الثنائيات التي أشار إليها الخليل من قبل ، ومن جملة ما قاله : " التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات ، وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات ، فيما يجمع من واحد إلى ستة وعشرين لأن كل ثنائية يزيد عليها حرفا ، فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية، فتجمع من واحد إلى ستة وعشرين على توالي العدد، ويضرب فيه جملة الثنائيات " ^(٣) .

وأورد الكتاني عبارة : " (الثنائيات) لمالك في الموطأ ، وهي أعلى ما عنده ^(٤) .

(١) تكملة المعاجم العربية ، رينهارت دوزي ، ترجمة وتعليق : د ، محمد سليم النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ م : ٢ / ٢١٥ ،

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري الشهير بالمتقي الهندي ، (ت ٩٧٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ : ١٢/١٥ .

(٣) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، (ت ١٣٠٧ هـ) ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م : ٢ / ١٤ .

(٤) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، محمد بن جعفر الكتاني ، (ت ١٣٤٥ هـ) ، تحقيق : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م : ٨٩ .

وفي الأدب واللغة نتلمس ملامح الثنائية عند القدماء في ظاهرة التقابل ، إذ أن "أكثر كلام العرب يأتي على حدين أحدهما: أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين كقولك: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، واليوم واللييلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط"^(١) .

ومما يلاحظ على البلاغة قديماً أن النمط الثنائي أُنسِم بالتوافق بينه وبين المجال الذي يرد فيه، ففي (علم البيان) يأخذ طبيعة جدلية ، فتكون العلاقة بين طرفي الصورة في حالة حركة دائمة، أما في (علم المعاني) فيأخذ شكلاً تحولياً تنتقل فيه الصيغة أو اللفظة من حالة إلى أخرى مؤثرة في تكتيف الطبيعة الفنية للصياغة من ناحية، ومؤثرة في تغيير الدلالة من ناحية أخرى، وفي (علم البديع) تكاد تكون الثنائية تقابلاً خالصاً، واستغلالاً لإمكانات اللغة وما تقدمه من ألوان التوافق والتخالف^(٢) .

ثالثاً - علاقة التضاد بين الليل والنهار، ومواقع ذكرها في القرآن

الكريم:

قد اجتمعت الثنائيات بعلاقة تضاد ، والتضاد في اللغة هو: "جمع ضد وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن"^(٣) .

والتضاد في موضوعنا يضافي على النص جواً مشحوناً بالحركات الثنائية انطلاقاً من أن الموجودات في الكون يعتمد بعضها في الوجود على الثنائية المتضادة كالليل والنهار، والحرارة والبرودة، والرجل

(١) الأضداد، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري،

(ت ٥٧٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، بلا تاريخ . (حققه : محمد أبو

الفضل إبراهيم، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٦٠م : ٦ .

(٢) ينظر : بناء الأسلوب في شعر الحداثة — التكوين البديعي ، د. محمد عبد

المطلب، دار المعارف ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٥م : ٦٩ .

(٣) الأضداد : ١٠ .

والمرأة، والظلمة والنور، في حين يعتمد بعضها الآخر في إدراكنا وإحساسنا بها على هذه الثنائيات كالحب والبغض، والصدق والكذب، والوفاء والغدر، والصبر والجزع.

والذوق العربي ميال إلى فكرة الثنائيات المتضادة بشكل جلي، ولقد زخر القرآن الكريم بشواهد كثيرة رائعة لهاتين الفكرتين، جاءت روعتهما من ظاهرة التناسق الفني التي غلبت على مواطن ذكرها . وما تجدر الإشارة إليه أن الثنائيات قد تكون متضادة مثل الصيف والشتاء ، والليل والنهار ، وقد لا يكون بينهما تضاد ، مثل السميع العليم ، والغفور الرحيم .

ولعدم الوقوف على تعريف للثنائيات ، فيمكن تعريفها بأنها : الألفاظ التي يرتبط بعضها مع بعض بعلائق أو وشائج تجمع بينهما معنوية كانت أم مادية . والتي غالباً ما إذا ذكر أحدهما ذكر الآخر . فالليل والنهار يربط بينهما الزمان ، والسماء والأرض يربط بينهما المكان ، والحب والكراهية يربط بينهما الشعور . وهكذا ، فكل واحد من هذه الثنائيات يرتبط مع قرينه برابط مادي أو معنوي . كما أن ذكر الليل يكون توطئة لذكر النهار ، وذكر المطر توطئة لذكر السحاب .

لقد ورد لفظ الليل في القرآن الكريم بمختلف اشتقاقاته (٩٢) مرة ، ورد بلفظ الليل (٧٤) مرة ، ولفظ ليلاً (٥) مرات ، ولفظ ليلة (٨) مرات ، ولفظ ليال (٣) مرات ، ولفظ ليلها وليالي مرة واحدة لكل منهما^(١) .

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، مطابع

الشعب، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ : ٦٥٦ - ٦٥٧ ،

وورد لفظ النهار في القرآن الكريم (٥٧) مرة ، ورد بلفظ النهار (٥٤) مرة و بلفظ نهارا (٣) مرات ^(١) .
وارتبط ذكر الليل والنهار في القرآن الكريم في (٤٣) موضع ، منها (٢١) موضع بلفظ (الليل والنهار) .

المبحث الثاني

الآيات الكونية

ارتبطت ثنائية الليل والنهار بعدد من القضايا منها الآيات الكونية والتي جاءت ضمن سياق الحث على التدبر في آيات الله ، التي يراها الناس ويعيشونها كل لحظة وحين ، وهي لمن تفكر فيها وتدبر لآيات عظيمة تنبئ أن لهذا الكون خالق عظيم ، ومن هذه الدلالات :
أولا - اختلاف الليل والنهار :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ وَالْعُلُوكِ الَّتِي بِحَرِّى فِي الْبَحْرِ يَمَافُ نَفْعُ النَّاسِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٣) . وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٤) . وقال جل جلاله : ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(١) ينظر : المصدر نفسه . : ٧٢٠ - ٧٢١ ،

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩٠ .

(٤) سورة يونس : الآية ٦ .

يَتَّقُونَ ﴿١﴾ . وقال سبحانه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ . وقال تقدّس اسمه : ﴿وَاخْلُفْ أَيْلَ وَالنَّهَارِ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَلَحِمًا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾

فقد نبّهت هذه الآيات إلى عظيم خلق الله وآياته في الكون ، ومنها خلق الليل والنهار ، وفي هذه الآيات دليل الآفاق ، وهو عبارة عن مجموعة من الحوادث المتجددة في العالم عن طلوع القمرين والكواكب وغروبهما عند دوران الأفلاك الدائرات والسفن الجارية ، والرياح الذاريات ، والنجوم الثوابت ، كل هذه تدل على الفاعل المختار (٤) .

والليل : معروف ، ومبدؤه من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، مفردة ليلة، والجمع ليالٍ، والليل اسم لكل ليلة (٥) ، والنهار : ضد الليل، وهو ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، مفردة يوم، والجمع

(١) سورة المؤمنون : الآية ٨٠ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٣٧ .

(٣) سورة الجاثية : الآية ٥ .

(٤) إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق ، لعز الدين مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير بن علي الهادي اليماني ، (ت ٨٤٠هـ) ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ : ٥١ .

(٥) ينظر : الأزمنة وتلبية الجاهلية ، لأبي علي المؤلف : محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقطرُب ، (ت ٢٠٦هـ) ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م : ٢٠ ؛ المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الضرير النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ ، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م : ٣٨٧/٢ .

أنهر، والنهار اسم لكل يوم^(١) .

وفي الآية الأولى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمُلْكِ﴾^(٢) ... الآية صارت الطبيعة جزءاً مهماً في تشكيل الصورة القرآنية ، فقد صور السموات والأرض والجبال والبحار والبساتين، والظلال إلى غير ذلك من عناصر الوجود، ذلك أن القرآن يوجه النظر إلى الكون ؛ لأنه طريق للوصول إلى خالقه، ولأسيما أن الكون يمثل الجمال بكل ما تحمله عرض صوراً من الطبيعة متحركة أو صامتة، بعضها في السماء، وبعضها في الأرض، وبعضها في الجو .

وفسر ابن عطية اختلاف الليل والنهار بأن معناه أن هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا فهما خلفه^(٣)

(١) ينظر : الأزمنة وتلبية الجاهلية : ٥٦ ؛ جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن

الأزدي البصري بن دريد، (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م : مادة (نهر) ٨٠٧/٢ ؛ المخصص : ٣٩٢/٢ .

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٦٤ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المعروف بـ (تفسير ابن

عطية)، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت ٥٤١هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ

— ١٩٩٣م : ٤٨ / ٢ .

ويدل سبب نزول الآية أن المعرفة والقناعة والإيمان سبيلها العقل لا المعجزات الباهرة ، ولا الخوارق القاهرة ، فقد ذكر أن المشركين قالوا للنبي — صلى الله عليه وسلم — : أرنا آيةً فنزلت^(١) .

لقد ذكرت الآية الكريمة عناصر الطبيعة على وفق ترتيب جميل يبهير السامع ، ويسترعي العقل للانتباه والوقوف للتفكير والتأمل في هذا الكون ، فبدأ أولاً بالخلق ؛ فهو الآية العظمى والدلالة الكبرى على الإلهية ، وقدم السموات على الأرض لعظم خلقها أو لسبقه على خلق الأرض عند من يرى ذلك ، ثم أعقب ذكر خلق السموات والأرض باختلاف الليل والنهار ، ثم أعقب ذلك بذكر الفلك ، وهو معطوف على الليل والنهار ، ثم أعقب ذلك بأمور اشترك فيها العالم العلوي والعالم السفلي ، وهو إنزال الماء من السماء ، ونثر ما كان دفيناً في الأرض بالإحياء^(٢) .

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الأملّي الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط ١، ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م : ٢ / ٦١ ؛ العجايب في بيان الأسباب، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكنانيّ العسقلاني المعروف بابن حجر، (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام . ط ١، ١٩٩٧م : ١ / ١١٤ ؛ لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، (ت ٩١١هـ)، دار إحياء العلوم . بيروت، بلا تاريخ : ٤٤ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٣م : ١٢ / ١٧٠ ؛ البحر المحيط، لأبي عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت ٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ : ١ / ٦٤٢ .

وجاء هذا المشترك مقدماً فيه السبب على المسبب ، فلذلك أعقب بالفاء التي تدل على السبب عند بعضهم ، ثم ختم ذلك ذكر جريان الفلك ، وإنزال الماء ، وإحياء الموتى ، والتي لا تتم الا به سبحانه ، وتصريف الرياح والسحاب ، وقدم الرياح على السحاب لتقدم ذكر الفلك وتأخر السحاب لتأخر إنزال الماء في الذكر على جريان الفلك ، وختم الآية بأن ما ذكره من خلق هو لآيات لقوم يعقلون ، ولم يقل لقوم يبصرون تغليياً لحكم العقل ، إذ مأل ما يشاهد بالبصر راجع إلى العقل ، وهذه الجملة هي بمثابة صفة مدح للذين يتفكرون في خلق الله ^(١) .

والعبارات في هذه الآية تتلاحم لتعرض صورة شاخصة لهذا الكون، فهذه السموات والأرض بكل هذه الأبعاد الهائلة والأجرام الضخمة، والآفاق المسحورة والعوالم المجهولة، وهذان الليل والنهار، وهما يتعاقبان تعاقب النور والظلام، وتوالي الإشراق والعتمة، وهذا الفلك الجاري وسط البحر بما ينفع الناس، والماء النازل من السماء، والريح المتحولة من وجهة إلى وجهة، وذلك السحاب المحمول على الهواء كلها، سمفونية مترابطة الإيقاعات متألفة من البداية إلى النهاية، لتصل إلى نتيجة مفادها : أنها دلائل على الجمال والجلال لقوم يعقلون ^(٢) .

وفي قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي آخِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٣) افتتحت الآية بحرف التوكيد

(١) ينظر : البحر المحيط : ٦٤٢/١ ؛ تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤١٩هـ : ١ / ٢١٤ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٣٨٧هـ)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م : ١٤٦/١ — ١٤٧ .

(٣) سورة يونس : الآية ٦ .

(إنّ)؛ " لتتزيل المخاطبين به الذين لم يهتدوا بتلك الدلائل إلى توحيد الله تعالى منزلة من ينكر أن في ذلك آيات على الوحدانية لعدم جريهم على موجب العلم ^(١). وفي التعبير بلفظ الماضي (خَلَقَ) دون المضارع؛ لإثبات كمال القدرة لله تعالى على الخلق.

ولما كان تعاقب الليل والنهار، وجميع ما خلق الله في السماوات والأرض كلها دلائل وبراهين على ثبوت وجود الله تعالى، ووحدانيته وسعة علمه، وكمال قدرته، ناسب التعبير بالفعل الماضي؛ ليتناسب ذلك مع سياق هذه الآية.

وجاء الأسلوب القرآني بلفظ الجمع في كلمة (الآيات) وفي ذلك دليل واضح على أن الله تعالى، لم يبعث لهم آية واحدة فحسب، بل إنها آيات تلو آيات، وبراهين تتبعها براهين، ولكنهم على الرغم من ذلك لم يهتدوا بها على وحدانية الله عز وجل، فهذه الآيات سواء كانت آيات كونية، أو آيات القرآن، فهي لم يكن لها صدَى وأثراً واضحاً إلا في القوم المتقين لله تعالى؛ لأن التقوى هي الداعية للنظر والتدبر، فهم المعتبرون بهذه الآيات المنقوعون بها ^(٢).

فجاء التعبير بصيغة الجمع؛ لأنه ذكر آيات كثيرة، فذكر اختلاف الليل، وهو إظلام الجو من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وذكر اختلاف النهار، وهو بدو الضياء من طلوع الشمس إلى غروبها، وذكر ما خلق الله في السماوات والأرض، وهي مخلوقات كثيرة لا يمكن حصرها، وفي كل منها آية مستقلة، فكان جمع الآيات هنا أبلغ؛ لإبراز كل آية من

(١) ينظر : التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م : ٩٧ / ١١.

(٢) ينظر : البحر المحيط : ١٣١ / ٥ ؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ : ٢١٤ / ٣.

هذه الآيات جميعاً ، كما أن في مجيء لفظ الجمع موافقة لجمع (السَّمَوَاتِ) و (قوم)، وللسياق لتقع المطابقة في اللفظ والمعنى ^(١) .

" فالآيات حيث جُمعت فلجمع الدلائل، وحيث وُحِّدت فلوحدانية المدلول عليه "^(٢). وفي ذكر لفظ (قَوْم) للإيماء إلى أنهم رسخ فيهم وصف التقوى، فكان من مقومات قوميتهم، وفي هذا تعريض بأن الذين لم يهتدوا بهذه الآيات ليسوا من الذين يتقون ^(٣) .

وقد كشف هذه الآيات جملة حقائق ، منها :

بين سبحانه أنه هو من أبدع هذا الكون ، وأنه جعل اختلاف الليل والنهار على هذه الشاكلة لينسجم مع معاش الناس ومصلحتهم ؛ ولكنهم مع ذلك لا يشكرون الله على ذلك ، ولا يشعرون في أنفسهم أنهم إليه راجعون وعرض سبحانه بعقولهم ، وأنهم لم يستخدموا عقولهم لتدلهم على الله الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء ^(٤) .

وهذا العالم قد اشتمل على أحوال متضادة ، والجمع بين المتضادين يدل على أن منشئهما واحد، كالليل والنهار " هما مختلفان ، أحدهما ظلام والآخر نور، يفنيان الأعمار ويقربان الآجال، وليس بينهما في رأي العين تشابه ولا تشاكل ، إذ أحدهما نور والآخر ظلام، وهما متضادان، لكن

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، بلا تاريخ : ٣ / ٤١٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي الشافعي، (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ : ١٢ / ٤ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٧ / ١١ .

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٥٦ / ٥ — ٣٥٧ ؛ في ظلال القرآن : ٢٤٧٧ / ٤ — ٢٤٧٨ .

خلقهما لمنافع البشر ... ثم صيرهما مع اختلافهما وتضادهما ، وهما كالشكليين ، لاتصال منافع بعضها ببعض ، دلّ أن منشئهما واحد ، وأنه عليم حكيم ، حيث جمع من المتضادين المختلفين وصيرهما كالشكليين ، وهما لعلم وحكمة وتدبير صاروا كذلك" (١).

فالأحوال المتضادة من حقها التدافع والتنافر ، والجمع بين المتضادين يدل على وجود خالق لا يعجزه شيء (٢) .

ثانياً – أحوال تعاقب الليل والنهار :

تنوعت الأوصاف القرآنية التي وصفت اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما ، ومجمل هذه الأوصاف ترسم صورة متكاملة لعملية التعاقب وكيفية حصوله ، زيادة على اختلاف الليل والنهار ، أي : إنه يجيء أحدهما ويذهب الآخر ، ويطول هذا فيقصر ذاك ، وكل ذلك بحسبان (٣) ، فهي تتمثل بالآتي :

أ – الغشيان :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) . وقال سبحانه : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ (٥) ، وقال جل جلاله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ ﴾

(١) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، (ت ٣٣٣هـ)،

تحقيق : د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ،

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ٢ / ٥٦٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٨ / ٥٤٢ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ١ / ٤٦٧ ؛ التحرير والتنوير : ٢ / ٧٨ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

(٥) سورة الشمس : الآيتان ٣ - ٤ .

إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ ﴿٢﴾ (١) ، أي : إن الله تعالى يلحق الليل بالنهار ، أو النهار بالليل على التعاقب ، فيذهب ظلام الليل بضياء النهار ، وضياء النهار بظلام الليل ، وكل منهما يأتي بعد الآخر سريعاً دون وجود فاصل بينهما (٢) ، أو يغشي الليل الشمس فيزيل ضوءها (٣) ، أو يغشي الليل الأرض ، والذي تقتضيه الفصاحة أن الضمير في قوله : (يغشاها) عائد على الشمس ، وكما أن النهار جلاها كان الليل هو الذي يغشاها (٤) .

ب - التقلب :

قال تعالى : ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٥) أي : الليل والنهار يختلفان ، فالله تعالى يأتي بالليل ويذهب بالنهار ، ثم يأتي بالنهار ، ويذهب بالليل (٦) . فالله تعالى يعقب بين الليل والنهار ويصرفهما إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا ذهب هذا جاء هذا ، فالتقلب هنا تغيير هيئة إلى ضدها ، وتغيير الليل والنهار ، تغيير الأفق من حالة الليل إلى حالة الضياء ، ومن حالة النهار إلى حالة الظلام ، فالمقلب هو

(١) سورة الليل : الآيتان ١ - ٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان : ١٢ / ٤٨٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٢٢١ .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب المعروف بـ (التفسير الكبير) ، وبـ (تفسير الرازي) ، لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي ، (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، ط ٣ ، ١٤٢٠هـ : ٣١ / ١٩١ ؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ : ٣٠ / ١٤١ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٨ / ٤٧٨ .

(٥) سورة النور : الآية ٦ .

(٦) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان ، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) تحقيق : أحمد فريد ، دار الكتب العلمية لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م : ٢ / ٤٢٢ ؛ جامع البيان : ١٩ / ٢٠٣ .

الجو بما يختلف عليه من الأعراض، ولكن كما كانت حالة ظلمة الجو تسمى ليلاً، وحالة نوره تسمى نهاراً، عبر عن الجو في حالتيه بهما، وعدي التقلب إليهما بهذا الاعتبار، ومما يدخل في معنى التقلب تغيير هيئة الليل والنهار بالطول والقصر، ومراعاة تكرير التقلب عبر عن الحدث بالمضارع المقتضي للتكرير والتجديد^(١).

ج - الولوج :

قال تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ النَّهَارَ مِنَ النَّهَارِ ﴾^(٢) . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾^(٣) ، وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^(٤) . وقال الله جل جلاله : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾^(٥) . وقال تبارك وتعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾^(٦) ، أي : يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٦٤ / ١٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٢٧ .

(٣) سورة الحج : الآية ٦١ .

(٤) سورة لقمان : الآية ٢٩ .

(٥) سورة فاطر : الآية ١٣ .

(٦) سورة الحديد : الآية ٦ .

النهار، ويدخل ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل ، فما نقص من هذا زاد في هذا^(١) .

ونذكر الرازي وجهين في معنى إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل : " أحدهما يحصل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيوبة الشمس ، وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده ، وثانيهما أنه سبحانه يزيد في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات "^(٢) .

د - الانسلاخ :

قال تعالى : ﴿وَمَا يَكُنْ لَهُمْ آلِيلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾^(٣) ، أي : إزالة الضوء وإخراج الظلمة ، فيأتي الليل ويذهب النهار^(٤) ، فهو بيان لقدرته تعالى في الزمان ، فخلق الليل والنهار هذا بظلامه وهذا بضياءه وجعلهما يتعاقبان ، فاستعير السلخ الذي هو الكشط إلى أن النهار طارئ على الليل كما أن المسلوخ منه قبل المسلوخ الذي هو كالغطاء على المغطى ، وقيل : لان الليل سابق عرفاً وشرعاً^(٥) ، فيدخلون في الظلام ؛ لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فإذا خرج منه أظلم^(٦) ، وفي هذه الآية استعارة ، والمراد : نخرج منه النهار ونستقصي

(١) ينظر : جامع البيان : ١٨ / ٦٧٥ ؛ المحرر الوجيز : ٤ / ٤٣٤ ؛ تفسير القرآن

العظيم، لابن كثير : ١٠ / ٨ .

(٢) مفاتيح الغيب : ٥٣ / ٢٣ .

(٣) سورة يس : الآية ٣٧ .

(٤) ينظر : بحر العلوم المسمى بـ (تفسير السمرقندي)، لأبي الليث نصر بن محمد

بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار

الفكر، بيروت، بلا تاريخ : ١١٦ / ٣ .

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير : ٥٤٨ / ٣ ؛ روح المعاني : ١٥ / ٢٣ .

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ١٩ / ١٥ .

تخليص أجزائه من أجزائه حتى لا يبقى من ضوء النهار شيء مع ظلمة الليل^(١).

هـ - التكوير :

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ
النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ
الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾^(٢) ، أي: إن الله تعالى يأتي بالنهار ويذهب الليل ، ويأتي
بالليل ، ويذهب النهار^(٣) ، وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض
مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها ، وهو بيان لكيفية تصرفه فيما ذكر
بعد بيان الخلق ؛ فإن حدوث الليل والنهار منوط بتحريك أجرام سماوية ،
والمراد يغشى أحدهما الآخر ، أي : يذهب أحدهما ويغشى مكانه الآخر ،
أي: يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً ، وبالعكس
فالمغشي حقيقة المكان^(٤) ، ويجوز أن يكون المغشي الليل والنهار على
الاستعارة ، ويكون المكان ظرفاً ، والمقصود أنه لما كان أحدهما غاشياً

(١) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى المعروف بالشريف الرضي، (ت ٤٠٦هـ) حققه وقدم له ووضع فهارسه : محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ط ١، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م : ٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥ .

(٣) ينظر : تلخيص البيان : ٢ / ٢٨٤ ؛ التحرير والتنوير : ٢٣ / ٣٢٨ .

(٤) ينظر : جامع البيان : ٢٣ / ١٢٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٤ / ١٥ - ٢٣٥ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦ / ٧ - ٣٨٧ .

للاّخر أشبه اللباس الملفوف على لابسّه في ستره إياه واشتماله عليه وتغطيه به^(١) .

ثالثاً - سمات ثنائية الليل والنهار :

ارتبط بثنائية الليل والنهار عدد من السمات المتعلقة بالآيات الكونية والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وهذه السمات هي :

١ - داوم حفظ الله تعالى :

إن حفظ الله عزّ وجلّ للكون وللعباد دائم ما دامت السموات والأرض، وما دام الليل والنهار ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾^(٢) ، والكلاء هو ، أي من يحفظكم بالليل والنهار من بأسه ؟ وتقديم الليل لما أن الدواهي فيه أكثر وقوعاً وأشدّ وقعاً ، وفي إيراد اسم الرحمن تنبيهه على أنه لا حفظ لهم إلا برحمته تعالى^(٣) .

وقيل : إن ذلك إيماء إلى أن بأسه تعالى إذا أراد شديد أليم ، ولذا يقال : نعوذ بالله عز وجل من غضب الحليم ، وتنديم لهم حيث عذبهم بالحرمان من رحمته^(٤) .

٢ - عدم تداخل الأوقات :

هكذا قضت سنة الله تعالى أن لا يتداخل الليل بالنهار ، أو النهار بالليل ، فالوقت إما ليلاً أو نهاراً ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

(١) ينظر : عناية القاضى وكفاية الراضى، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجى على

تفسير البيضاوى، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى

الحنفى، (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٧٨م : ٧ / ٣٢٧

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٤٢ .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٥١٩/٣ .

(٤) ينظر : حاشية الشهاب : ٢٥٦ / ٦ .

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١﴾ ، وقال سبحانه : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٢) ، و المقصود بيان معاقبة كل من الشمس والقمر في ترتب الإضاءة وسلطانه على الاستقلال، وكذلك اختلاف الليل والنهار ، وقوله : ﴿وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ كناية عن سبق آيته آيته فحصلت الدلالة على الاختلاف أيضاً إدماجاً ؛ لأنها لا تنافي إرادة الحقيقة ، وجاء من ضرورة التقابل هذا المعنى في النهار أيضاً من قوله تعالى : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ (٣) .

وجاءت الاستعارة في السبق لليل والنهار، ليبين ما هو مقرر من دوران الشمس والقمر والأرض، وتكون الليل والنهار (٤) ، وقسم سبحانه لكل واحد من الليل والنهار وأيتهما قسماً من الزمان، وجعل أمرهما على التعاقب، وجعلهما متوالين رحمة بهم ونعمة عليهم، وهذا تدبيره واختياره، كما دبر لهم كل سنن الحياة (٥) .

٣ - ملك الله تعالى :

قال تعالى : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْآلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦) .

فأثبت جل وعلا أن ملك جميع الأزمان والأوقات ، والليل والنهار هما الوقتان المخصوصان ، والسكنى يتناول المتحرك والساكن من غير تقدير وتعديتها بـ(في) إشارة إلى الزمان مع أن حق استعمالها في المكان

(١) سورة الانبياء : الآية ٣٣ .

(٢) سورة يس : الآية ٤٠ .

(٣) ينظر : روح المعاني : ٢١/١٢ .

(٤) ينظر : إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار اليمامة،

بيروت - دمشق، ط ٧، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م : ٣٢٩/٢٣ - ٣٣٠ .

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٥ / ٢٧٠٨ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٣ .

لتنشبيه الاستقرار بالزمان بالاستقرار بالمكان^(١) . وذكر الفعل (سَكَنَ) وحذف الفعل (تحرك) ، وذلك لدلالة الفعل (سَكَنَ) عليه ، والمراد من السكون الشيء الذي سكن بعد أن تحرك، فعلى هذا، المراد كل ما استقر في النهار من الدواب، وجملة الحيوانات في البر والبحر ، أو أنه خصّ الساكن بالذكر^(٢) ؛ لأن ما يتصف بالسكون من المخلوقات أكثر مما يتصف بالحركة^(٣) .

٤ - نفاذ أمر الله تعالى :

إن الله تعالى إذا اقتضى أمراً لا يتأثر بليل أو نهار ، فأمره نافذ وله الأزمان والأوقات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَفَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِירוْنَ عَلَيْهَا أَتْنَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٤) ، أي : " أتاها عقابنا في ليل أو نهار ، إما ببرد أو بصواعق محرقة أو غيرها ، ويسمى العقاب أمراً ؛ لأن أفعال الله سبحانه تضاف إليها بلفظ الأمر ؛ لأن ذلك أدل على سرعة السكون من غير استبطاء ولا تعب " ^(٥) .

(١) ينظر : روح المعاني : ١٠٤/٤ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٦٧/١٢ .

(٣) ينظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير - دمشق ، دار الكلم الطيب - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ : ١٣١/٢ .

(٤) سورة يونس : الآية ٢٤ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: هشام البدراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م : ٢٥٤/٣ .

المبحث الثالث

منافع الليل والنهار

كل شيء خلقه الله تعالى كان عن حكمة ، وفيه منفعة للناس ، ودل على هذا عدد من الآيات التي أشارت إلى تسخيرهما للناس .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ آيِلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ آيِلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) ، فالمقصود بهذا تسخير الليل والنهار، وكذا سائر المخلوقات لنفع البشر ، والمنافع المترتبة على هذه الثنائية عامة ، فيكون الليل للسكون والنوم والراحة، والنهار للحركة وكسب الرزق، وكلاهما للعبادة والذكر (٣) .

إن تعاقب الليل والنهار على نصفي الأرض ضروري للحياة؛ لأن جميع صور الحياة الأرضية من إنسان، وحيوان، ونبات، وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة لا تتحمل مواصلة العمل دون راحة وإلا هلكت، فهي تحتاج إلى الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار ، أو عكس ذلك بالنسبة لأنماط الحياة الليلية(٤) .

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٣ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢ .

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٨٣ ؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تفسير البيضاوي)، لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي، (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م : ٣ / ٣٨٩ ؛ تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٥٦١ .

(٤) ينظر: السماء في القرآن الكريم ، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة ، بيروت، ط ٤ ، ٢٠٠٧م : ٤٢٢ .

وقد جعل الله تعالى لليل والنهار فوائد أخرى يمكن إجمالها بما يأتي:
أولاً - استخلاف الأعمال :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَنۢكَرَ ۖ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۖ ﴾ ^(١) ، المعنى : مختلفان يذهب هذا ويأتي هذا جعلهما الله خلفه للعباد، والخلفة مصدر فلذلك وحدث وهي خبر عن الليل والنهار والعرب تقول خلف هذا من كذا خلفه وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله ، أي : إنه سبحانه جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر ويأتي بعده، توقيتاً لعبادة عباده له عز وجل ، فمن فاتته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاتته عمل في النهار استدركه في الليل، فيكون في ذلك عظة لمن أراد أن يتذكر ما يجب عليه، ويتفكر في آلاء الله وعجائب صنعه، ويشكر ربه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ^(٢).
والخلفة : أي يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه ^(٣) .

ثانياً - توزيع الأعمال :

لقد جعل الله تعالى كلا من الليل والنهار مناسبين لأعمال مخصوصة ، والحالة العامة أن يكون الليل للراحة والسكن ، والنهار للنشاط والعمل .
قال تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ^(٤) . وقال عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ

(١) سورة الفرقان : الآية ٦٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان : ١٩ / ٢٩١ ؛ مفاتيح الغيب : ٢٤ / ٩٣ ؛ روح المعاني : ٤١ / ١٩ .

(٣) ينظر : أنوار التنزيل : ١٥٠ / ٢ ؛ روح المعاني : ٤١ / ١٩ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٩٦ .

لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١﴾ ،
وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ
نُشُورًا ﴾ (٢) ،

وقال عزَّ من قائل : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) ،

وقال تبارك وتعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ
مُبْصِرًا إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٤)
، وقال جلَّ جلاله : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (٥) ،
فالليل يسكن إليه من يتعب بالنهار ويستأنس به لاسترواحه فيه ، وكل ما
يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناساً به واسترواحاً إليه من زوج ، أو
حبيب يقال له : سكن (٦) .

ووصف الليل باللباس ، أي : الساتر ، والمعنى : أنه تعالى شبه الليل
من حيث أنه يستر الكل ويغطي باللباس الساتر للبدن (٧) ، هذا له علاقة
بالستر الذي هو صفة لظلمة الليل .

(١) سورة يونس : الآية ٦٧ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٤٧ .

(٣) سورة القصص : الآية ٧٣ .

(٤) سورة غافر : الآية ٦١ .

(٥) سورة النبأ : الآيتان ١٠ - ١١ .

(٦) ينظر : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي

القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت ٥٣٨هـ)، دار

الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ : ٢٩/٢ .

(٧) ينظر : مفاتيح الغيب : ١٢ / ٨٩ ؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير : ٣ / ٣٢١

ووصفه بالسبات ، وهو الراحة والسكون^(١) ، أي : جعل الله سبحانه وتعالى النوم راحة للإنسان ، فيهدأ به ويسكن ، كأنه ميت لا يشعر بما حوله وهو حي لم يمّت^(٢) .

وهذا لا يمنع أن يكون النوم في النهار للراحة أيضاً لأسباب شتى ، لذا قال تعالى : ﴿ وَمَنْ مَّائِنَهُ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾^(٣) ، والنوم بالليل والابتغاء من الفضل ، أي : الكسب بالنهار أمران معتادان ، وأما النوم بالنهار فكنوم القيلولة ، وأما الكسب بالليل ، فكما يقع من بعض المكتسبين ، وأهل الحرف من السعي والعمل ليلاً لاسيما في أطول الليالي وعدم وفاء نهارهم بأغراضهم ، ومن ذلك حراسه الحوانيت بالأجرة ، وكذا قطع البراري في الأسفار ليلاً للتجارة ونحوها^(٤) .

ثالثاً - ارتباط ثنائية الليل والنهار بالعبادات :

ارتبطت ثنائية الليل والنهار بالعبادات في عدد من الآيات ، وارتبط ذكرهما بعدد من المعاني ، وهي :

١ - بيان مواقيت الصلاة المفروضة :

قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرُكَ لِلذَّكْرَيْنِ ﴾^(٥) . وقال سبحانه : ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (سبت) ٣٦/٢ .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل : ٣ / ٤٤٠ ؛ مفاتيح الغيب : ٣١ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٨ / ٤٠٣ .

(٣) سورة الروم : الآية ٢٣ .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل : ٢٠٥ / ٤ ؛ إرشاد العقل السليم : ٥٧ / ٧ ؛ روح المعاني : ٣٢ / ١١ .

(٥) سورة هود : الآية ١١٤ .

وَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَيِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١﴾ .

اختلف المفسرين في المقصود (بطرفي النهار) على قولين : إنها صلاة الصبح والمغرب ، وقيل : إنها صلاة الصبح والعصر ، وقيل : إنها صلاة الفجر والعشاء (٢) .

والمقصود بـ(أطراف النهار) ، تأكيد للصلاتين الواقعتين في طرفي النهار وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب . كما اختصت في قوله : (والصلاة الوسطى) ، يعني : صلاة العصر . ومن المفسرين من قال : قبل طلوع الشمس يعني : الفجر ، وقبل غروبها يعني : الظهر والعصر ، وآناء الليل صلاة العشاء ؛ لأنها تصلى بعد مضي آناء من الليل وأطراف النهار يعني صلاة الظهر والمغرب (٣) .

٢ - قيام الليل :

جاء ذكر قيام الليل في قوله تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ ﴿٤﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثَةً مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَرِّمُوا

(١) سورة طه : الآية ١٣٠ .

(٢) ينظر : جامع البيان : ٧٦٠/٧ ؛ مفاتيح الغيب : ٧٤/٩ - ٧٧٥ ؛ تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤٦٢/٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان : ١٦٨/٨ ؛ مفاتيح الغيب : ١٣٤/١١ ؛ تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٧١/٣ .

(٤) سورة المزمل : الآيتان ٦ - ٨ .

لَأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّمَّا تَدْعُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾

جمهور المفسرين أن المراد منها الصلاة ، وأطراف النهار كالتوكيد للصلاتين الواقعتين في طرفي النهار ، وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب^(٢) .

وبينت الآية إن في وقت النهار تقليباً وتصرفاً في الحوائج ومصالح الحياة، فلا تتفرغ فيه للعبادة، فصل بالليل ؛ ولكن لا ينبغي الانشغال عن ذكر الله بأي حال نهاراً أو ليلاً ، وطالبت الآية بالدوام على الذكر ليلاً ونهاراً، وإخلاص العبادة لله والاشتغال بعبادته، والتماس ما عنده عند الفراغ من الأشغال والحوائج الدنيوية^(٣) .

٣ - الامتداد الزمني :

جاء في عدد من الآيات ذكر ثنائية الليل والنهار للدلالة على الامتداد الزمني ، أو استغراقه في الأعمال ، قال تعالى على لسان نوح - عليه السلام - : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾^(٤) ، كما ذكر سبحانه وتعالى أن من عنده من الملائكة لا يفترون عن التسبيح : ﴿ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾^(٥) . وقال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ ﴾^(٦) ، فالملائكة عباد الله عز وجل، لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الله بالليل والنهار لا

(١) سورة المزمل : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المزمل : الآية ٢٠ .

(٣) ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢ ، ١٤١٨هـ : ١٩٤/٢٩ .

(٤) سورة نوح : الآية ٥ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٣٨ .

(٦) سورة الأنبياء : الآية ٢٠ .

يفترون^(١) .

٤ - أثر الثنائية في التوقيت :

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۖ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۚ لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ۝ ﴾^(٢) .

" إن الحساب مبني على أربع مراتب : الساعات ، والأيام ، والشهور والسنون ، فالعدد للسنين ، والحساب لما دون السنين وهي الشهور والأيام والساعات ، وبعد هذه المراتب الأربع لا يحصل إلا التكرار ، كما أنهم رتبوا العدد على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف^(٣) ؛ فإن من نعم الله على الناس مخالفته تعالى بين علامة الليل وعلامة النهار ، وليعلموا باختلاف الليل والنهار عدد السنين وانقضاءها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها^(٤) ، فلو لا الأشهر والليالي والأيام ما علم أحد حساب الأوقات ولتعطلت أمور كثيرة فالسنة تتحصل بعدة شهور ، والشهر بعدة أيام ، واليوم بعدة ساعات^(٥) .

٥ - تباين الأحوال :

جاء ذكر الليل والنهار لتبيان تباين أحوال الناس ، واختلاف أعمالهم فيه ، من ذلك إنفاق المال في الليل والنهار ، كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ

(١) ينظر : جامع البيان : ٤٢٣/١٨ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٣) مفاتيح الغيب : ١٦٧/١٠ .

(٤) ينظر : جامع البيان : ٣٨/٨ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٨/١٠ .

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ ، وهذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله ، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار (٢).

وفي آية أخرى جاء بيان هذا التباين من ناحية أخرى في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (٣) ، فالآية تبين إحاطة علم الله تعالى بالكون ، فيعلم خانة الأنفس وما أسرت به من قول ، مثلما يعلم ما جهر به من قول ، والمستخف بالليل هو المستتر بالمعاصي ، وسارب بالنهار الظاهر (٤)

وفي هذا السياق جاء ذكر مكر المتكبرين في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْنَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) ، فالمستضعفون يقولون للمستكبرين (بل مكر الليل والنهار) يعني قولكم لنا بالليل والنهار ، واحتيالكم بالدعوة إلى الشرك (٦) وقيل : " هذه استعارة . والمراد بمكر الليل والنهار : ما يتوقع من مكرهم في الليل والنهار ، فأضاف تعالى المكر إليهما لوقوعه فيهما " (٧) .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٤ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٢٦/١ .

(٣) سورة الرعد : الآية ١٠ .

(٤) ينظر : معاني القرآن الكريم ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس ، (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، منشورات جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م : ٤٧٦/٣ .

(٥) سورة سبأ : الآية ٣٣ .

(٦) ينظر : بحر العلوم : ٨٦/٣ .

(٧) تلخيص البيان : ٢٦٦/٢ .

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية في ربوع القرآن الكريم لا بد لي من خاتمة اذكر فيها النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة والتي أخصها بما يأتي :

٨. الثنائيات مشتقة في اللغة من كلمة (اثنين) ، وهي كل شيء انطوى على اثنين ، أو تكون من اثنين .
٩. وفي الاصطلاح فالثنائيات هي الألفاظ التي يرتبط بعضها مع بعض بعلائق أو وشائج تجمع بينهما معنوية كانت أم مادية . والتي غالباً ما إذا ذكر أحدهما ذكر الآخر .
١٠. ارتبط ذكر الليل والنهار في القرآن الكريم في (٤٣) موضع ، منها (٢١) موضع بلفظ (الليل والنهار) .
١١. ارتبطت ثنائية الليل والنهار بعدد من القضايا منها الآيات الكونية والتي جاءت ضمن سياق الحث على التدبر في آيات الله ، التي يراها الناس ويعيشونها كل لحظة وحين ، وهي لمن تفكر فيها وتدبر لآيات عظيمة تنبئ أن لهذا الكون خالق عظيم .
١٢. إن أحوال تعاقب الليل والنهار تمثلت بالغشيان ، والتقليب ، والولوج والانسلاخ والتكوير .
١٣. تمثلت سمات ثنائية الليل والنهار بداوم حفظ الله تعالى ، وعدم تداخل الأوقات ، وأنهما ملك لله تعالى ، ونفاذ أمر الله تعالى فيهما .
١٤. إن تعاقب الليل والنهار على نصفي الأرض ضروري للحياة؛ لأن جميع صور الحياة الأرضية من إنسان، وحيوان، ونبات، وغير ذلك من أنماط الحياة البسيطة لا تتحمل مواصلة العمل دون راحة وإلا هلكت، فهي تحتاج إلى الراحة بالليل لاستعادة النشاط بالنهار .
١٥. من فوائد ليل والنهار : استخلاف الأعمال وتوزيعها ، وارتباطهما بالعبادات .

١٦. إن الليل والنهار إذا ذُكرا في سياق واحد في القرآن الكريم يلاحظ تقديم الليل على النهار؛ لأن الأصل أن الكون يلفّه ظلام دامس دائم، وبه شمس لا يُرى الضوء المنبعث منه إلا عند انعكاسه من الأجرام السماوية المعتمدة لينيرها، فقدم الله تعالى الأهم على المهم في سياق القرآن المجيد .

١٧. أن من حكمة ثنائية الليل والنهار، انه (وبضدها تتميز الأشياء)، كما قيل (والضد يظهر حسنه الضد)، كذكر الظلمات والنور، والحياة والموت، والأعمى والبصير، والهدى والضلال .
والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، (ت ١٣٠٧ هـ) ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
٢. إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق ، لعز الدين مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير بن علي الهادي اليماني ، (ت ٨٤٠ هـ) ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت ٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
٤. الأزمنة وتلبية الجاهلية ، لأبي علي المؤلف: محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقطرْب ، (ت ٢٠٦ هـ) ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م.
٥. الأضداد، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، (ت ٥٧٧ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، بلا تاريخ . (حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٦٠ م .
٦. إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار اليمامة، بيروت - دمشق، ط ٧، ١٤٢٠ هـ — ١٩٩٩ م .
٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ(تفسير البيضاوي)، لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي، (ت ٦٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م .

٨. بحر العلوم المسمى بـ(تفسير السمرقندي)، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ .
٩. البحر المحيط ، لأبي عبدالله أنير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت ٧٥٤هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .
١٠. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله ابن بهادر الزركشي الشافعي، (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ .
١١. بناء الأسلوب في شعر الحداثة — التكوين البديعي ، د. محمد عبدالمطلب، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٥م .
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس ، محي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي ، (ت ١٢٠٥هـ) ، مكتبة الحياة ، بيروت ، بلا تاريخ .
١٣. تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق : د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م .
١٤. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م .
١٥. تفسير القرآن العظيم ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: هشام البدراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م .
١٦. تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)،

- تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ .
١٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ .
١٨. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
١٩. تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة وتعليق: د.محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م .
٢٠. تلخيص البيان في مجازات القرآن، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى المعروف بالشريف الرضي، (ت٤٠٦هـ) حققه وقدم له وضع فهارسه: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة ط١، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
٢١. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، (ت٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البرنوني، مراجعة علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة مصر، بلا تاريخ .
٢٢. ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام، ليلي نعيم عطية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد - كلية الآداب ٢٠٠٥م .
٢٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الأملّي الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاکر وأحمد محمد شاکر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٢٤. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح

- الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
٢٥. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد، (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م .
٢٦. ديوان الأدب في اللغة، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفاريابي، (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٢٧. ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق: الإمام محمد طاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، بلا تاريخ .
٢٨. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، (ت ١٣٤٥هـ)، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ .
٣٠. السماء في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧م .
٣١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣٢. العجّاب في بيان الأسباب، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام . ط ١، ١٩٩٧ م .
٣٣. عناية القاضي وكفاية الراضي، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٧٨ م .
٣٤. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، (ت ١٧٥هـ) تحقيق : د ، مهدي المخزومي ، و د ، إبراهيم السامرائي ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٠ — ١٩٨٥ م .
٣٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد ابن علي بن محمد الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير — دمشق ، دار الكلم الطيب — بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
٣٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٣٨٧هـ)، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤ م .
٣٧. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .
٣٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري الشهير بالمتقي الهندي ، (ت ٩٧٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
٣٩. لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، (ت ٩١١هـ)، دار إحياء العلوم . بيروت، بلا تاريخ .

٤٠. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، (ت ٧١١ هـ)، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٦٨ م .
٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المعروف بـ(تفسير ابن عطية)، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت ٥٤١ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١ ، ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م .
٤٢. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، (٤٥٨ هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا ، ود، حسين نصار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط ١ ، ١٩٥٨ م .
٤٣. المحيط في اللغة، لكافي الكفاءة صاحب إسماعيل بن عباد، (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .
٤٤. المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الضرير النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ ، ١٤١٧ هـ — ١٩٩٦ م .
٤٥. معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس، (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .
٤٦. المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١ ، ١٩٧١ م .

٤٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ .
٤٨. مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكبير)، وبـ(تفسير الرازي)، لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط٣، ١٤٢٠هـ .
٤٩. مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م .
٥٠. مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان، د. مسارع حسن الراوي، دار الياقوت للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٦م .
٥١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ .



